العنف ضد الأطفال أسبابه و آثاره دراسة سوسيو أنثروبولوجية

مدينة بئر العاتر حي 300 سكن نموذجاً

د.خليفة عبد القادر
قصي عطية
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

الملخص :
تهدف دراستنا للإجابة عن الأسئلة التالية :

1- كيف يتجلى العنف ضد الطفل وماهي الخلفية الثقافية و المجتمعية له ؟
2- ما هي الأسباب التي تؤدي إلى العنف ضد الأطفال ؟
3- كيف يتمثل الطفل مع ذاته ومع الآخر من خلال العنف الممارس عليه ؟

وقصد الإجابة عن هذه الأسئلة استعننا بالمقاربة الفردانية و استخدام المنهج الاثنوجرافي ، بغية فهم حيثيات هذه الظاهرة التي أخذت في الانتشار بشكل ملفت للانتباه ، مما جعلنا نهتم بهذا الموضوع وذلك من ناحية الأسباب الحقيقية وراءه ، وكذلك الأماكن التي يحدث فيها العنف ضد الطفل وعلاقة الخلفية الثقافية و المجتمعية له هذا من جهة ، و معرفة الآثار الناتجة عنه من جهة أخرى وذلك عن طريق اقتحام الميدان و نبش الخفي والمسكوت عنه في هذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية : العنف . الأطفال . أنثروبولوجية

Résumé :
Notre étude a comme but la réponse aux questions suivantes :

1. comment se produit la violence contre les enfantes quelle est le fond culturel et social derrière ce phénomène ?
2. quelles sont les causes qui mènent à la violence contre les enfants ?
3. comment réagit l'enfant avec lui-même et avec les autres en étant soumis à la violence ?

Dans le but de répondre à ces questions, nous avons utilisé l'approche individuelle et la méthode ethnographique afin de comprendre les principes de ce phénomène qui se disperse remarquablement. Ce qui nous a mené à s'intéresser par ce sujet et ces raisons virtuelles et aussi les lieux où se passe la violence contre les enfants et la relation du fond culturel et social d'une part et la connaissance des conséquences de la violence d'une autre part en pénétrant dans les profondeurs inédits de ce phénomène.

Mot les clé : Violence. Enfants. Anthropological.

مقدمة

يطالعنا راهن البحث السوسيولوجي و سوسيو أنثروبولوجي على ضرورة توسيع دائرة الاهتمام ، و الدراسة لمختلف القضايا الاجتماعية دون الاكتراث بجانب الرقابة المفروض عليها ، والذي يجعلنا نتريث عند التفكير في التطرق إلى أحد الموضوعات، وأحياناً أخرى فإن تناولنا لظّاهرة يبقى منقوصا بحكم إهمال أحد جوانبها الخفية ، أي الاكتفاء بأبعادها الخارجية و التغافل عن أغوارها المتشعّبة ، فالعنف ظاهرة عامة قد تختلف من حيث حدّتها ، وتكرار تجلي مظاهرها من مجتمع لآخر ، ومن فتر زمنية لأخرى ، لكنها تمس جميع المجتمعات البشرية ، وتظهر على مستوى الأنساق الاجتماعية كلّها، إنّ عنف السلوك الذي يظهر أحياناً كاستجابة للعوامل والظروف المتعلقة بالوضعية

التي يتم فيها، وهو نتيجة لما يمكن تسميته بالعنف الاجتماعي أو الثقافي الذي تكرسه منظومة القيم و التصورات التي تنتظم عليها الحياة الاجتماعية ، ويظهر أحياناً كنمط من العلاقات الأساسية التي تنظم حياة الأفراد، وفق طبيعة التنشئة الاجتماعية والترويج لثقافة العنف ضد الأطفال ، من خلال الممارسات التي تلقى ترحيبا بدافع فرض السلطة و تقويم السلوك و التحكم في العملية التربوية الخاصة بالطفل .

إنّ الحياة الاجتماعية كانت ولا تزال ممزوجة بالعنف ، لدرجة أنه بالرغم من زيادة الشعور به فإن المجتمعات البشرية تسير دائماً نحو تكريس هذا العنف أكثر ، حيث أصبح مشروع المجتمعات الهادئة و السلمية تبدو فكرة وهمية، فالأشكال التي تأخذها ظاهرة العنف ضد الأطفال ترتبط بالنظر إلى أهمية التأثير المتبادل بين الأسرة و المجتمع ، بعوامل أسرية وأخرى متعلقة بالمحيط الاجتماعي خارج الأسرة ، من هذا المنطلق فإن دراسة أشكال العنف تتضح أكثر في السياق تناوله ضمن تصور شامل ، يأخذ بالاعتبار مجموعة العوامل الأسرية و الاقتصادية و الاجتماعية، و الثقافية المرتبطة بالظاهرة ، وكذا العمل على البحث عن الخفي المضمر و المسكوت عنه في المجتمع قيد الدراسة.

حيث وجدت الدراسة أن العنف يؤثر على الأولاد والبنات من جميع الأعمار والمناخات الاجتماعية ، ولهذا العنف نتائج مدمرة بالفعل سواء أكانت طويلة المدى أو قصيرة المدى، بما في ذلك الإصابات والعاهات، هذا إلى جانب الآثار العاطفية والنفسية التي تستمر مدى الحياة، وفي أحيان أخرى تفضي إلى الموت ، وكذلك الأعباء الاقتصادية وغيرها من الأعباء التي تكبدها المجتمع .

أولا: الأسباب المؤدية للعنف ضد الأطفال

هناك الكثير من الأسباب التي تجعل من العنف ضد الأطفال كلا الجنسين ممكنا و ذلك حسب جملة الدراسات الاستطلاعية الميدانية في مجتمع العينة المنوط بالبحث الأنثروبولوجي في تحليل جملة من الكلمات المفتاحية المتعلقة بالأسرة و المدرسة و المجتمع لما لها من تأثير على عملية التنشئة الاجتماعية و ظهور السلوك العنيف الممارس ضد الأطفال، بأوجه وطرق مختلفة، بحيث أن الأطفال يمثلون موضوعا سهلا للعنف الممارس عليهم من طرف أفراد الأسرة و كذلك من طرف المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه: " الجار، الأقران، أناس آخرين " ، وكذلك من طرف المحيط المدرسي الذي يتفاعل معه الطفل: "الأستاذ التلاميذ، العاملين في المدرسة" كل هذه الأماكن يحدث فيها العنف، هذا أن الطفل يعتبر مؤشر ضعف يميزه و يجعل الراشدين يمارسون عليه العنف دون خوفهم من الرد أو الانتقام ، ولعل عامل الضعف هذا ، ضعف البنية الجسدية، من بين العوامل المشجعة للعنف ضد الطفل ، وهو ما يعرف بالعنف البنيوي، الذي يعمل كدعامة للعنف و السلوك ، في ضل العوامل الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية المميزة لكل مجتمع عن الآخر، حيث يقول بيير بورديو في كتابه العنف الرمزي " بعكس ما يتصوره الذين يفقرون مفهوم العنف الرمزي ، الذي تمارسه طبقة معينة تجاه طبقة أخرى [1]" .

- **الأسباب المتعلقة بالأسرة وبالعلاقات الأسرية :** هناك عدة أسباب تجعل من أفراد الأسرة يمارسون العنف ضد الطفل الذي يعيش فيها ومنها حسب المقابلات التي أجريناها مع بعض الأولياء ، التدخل في الأغراض الشخصية أو استعمالها ، عدم احترام مبدأ التعايش التدخل في الحياة الخاصة، إخبار الوالدين بما أفعل في الخارج ، بقاء الأطفال في البيت ، تصادم أثناء الغضب ، مشاكل متعلقة بتقسيم المنزل، عدم احترامي ، عدم التفاهم و الاختلاف في الآراء، المشاجرات بين الزوج ، رد فعل للعنف المتلقي، عدم احترام النظام داخل الأسرة ، هذا ما يدفع بأحد أفراد الأسرة إلى ممارسة العنف على الأطفال وذلك لفرض السيطرة و إعادة النظام داخل المنزل ، أي أن هناك حالات يجب استعمال العنف فيها لتسوية الوضع و العمل على فرض الهيمنة في المنزل ، فالأسرة الجزائرية أسرة أبوية

[1] بيير بورديو ، **العنف الرمزي** ، تر : نظير جاهل ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1994 ، ص 57.

ذكورية بحيث تكون السيطرة و الكلمة الأخيرة في البيت للأب باعتباره المسيطر و الآمر الناهي الذي يعمل على قيادة كامل أفراد الأسرة و التحكم في قراراتهم ، و ميولاتهم الشخصية مما يساعد على نشوب الصراع داخل الأسرة ، وبذلك حدوث العنف وخصوصا العنف ضد الأطفال باعتبارهم أشخاص غير راشدين في سلوكاتهم الساذجة و العمل بذلك على تربيتهم ، واستخدام العنف ضدهم كحجة على أنه الوسيلة الوحيد لتقويم السلوك المنحرف.

- **الأسباب المتعلقة بالإحباط المنزلي و سلوك الأطفال و ملامحهم و مميزاتهم:** نجد عدة كلمات تتنوع و تتشابه حول الإجابة على أسئلة المقابلة مثل الإزعاج، الصراخ، المضايقة ، كثرة الكلام ، كثرة البكاء، ارتكاب أعمال الشغب ، تصرفات ساذجة تثير الأعصاب ، كثرة الحركة ، حيث يقول لطفي 32 سنة "مانكذبش عليك عندي خيواني صغار مجنيني بالحس و الهرج ، و قداه من مرة نضرب واحد فيهم حتى يبول على روحو ، والله شي يكره كون عندك خيوانك صغار تاو تحس بيا" .
- **الأسباب المتعلقة بالإحباط الاقتصادي و الاجتماعي:** فنجد كذلك كل من الضغوطات الخارجية ، ضغوطات بسبب الحياة الاجتماعية ، المشاكل اليومية ،ضغوطات اقتصادية و اجتماعية ، هموم العمل ومشاكله ، عدم الاستقرار في العمل كل هذه الأسباب التي يرويها مجموعة من الأفراد الذين ينتمون إلى سكان الحي تساهم في تزايد الغضب و الشعور بالإحباط مما ينعكس على الأطفال من ناحية ممارسة العنف عليهم ، ويتميز بالضبط الصارم ، وايقاع العقاب المتكرر ، وعدم الاستماع للطفل ، والبرود في المعاملة ، ويترك هذا النمط آثارا على سلوك الأطفال تتمثل في الشعور بالتعاسة و الانسحاب وعدم الثقة في الآخرين [2]، حيث يكون العدوان في غالب الأمر موجها بصفة عامة ضد الآخر أو العامل المسبب للإحباط ، مما يساهم في تزايد وتيرة الغضب و بذلك يمارس العنف ضد الطفل باعتباره الشخص الوحيد الذي يفرغ فيه هذه الشحنات الزائدة من الإحباط و الفشل في الاجتماعية و الاقتصادية و المشاكل الناتجة عنها ،فالإحباط يولد رد فعل وجداني هو الغضب وبذلك تسهل عملية العنف التي تكون حسب وتيرة هذا الغضب.
- **متعلق بالحالة المرضية في أحد أفراد الأسرة:** هنا قد يكون أحد أفراد العائلة يعاني من مرض عصبي إما الأب أو الأم ،أو الأخ أو الأخت ، مما يزيد في حالة العنف الممارس على الطفل باعتباره صغير السن و ضعيف القوة و هنا تتفاوت درجة الخطورة من حيث نوع العنف المترتب على الممارس له فنجد قول السيد حميد أنه في سنة 2008 قام والد طفل يقتن في الحي 300 سكن بضرب ابنه ضربا مبرحا تاركا مجموعة من الكدمات في كامل أعضاء جسمه ، بحيث تم نقل الطفل إلى المستشفى و مع التحقيق تبين أن والده يعاني من مرض عصبي مزمن ، فمرض أحد أفراد الأسرة يؤدي بالضرورة إلى حدوث العنف بشتى أنواعه ذلك أن المريض لا يعي ما يفعله خصوصا إذا كان المرض عصبي ، ذلك لأن المريض لا يتحمل الفوضى و الأصوات العالية لأنها تثير لديه ذلك المرض مما يجعله يمارس العنف ضد الآخر خصوصا الأطفال لأنهم في الأغلب هم ضحايا هذا العنف الذي قد يودي بهم إلى المستشفيات ، وأمراض مزمنة وعاهات تلازمهم مدى الحياة.
- **متعلق بالحالة الطفل في حد ذاته :** من الأسباب التي وجدناها أثناء إجراء المقابلات منها المرض الذي يعاني منه الطفل فالطفل القليل النمو و الطفل الذي يعاني من إعاقة ذهنية أو جسدية يكون عرضة للممارسة العنف عليه باستمرار ، بحيث تتفاوت درجة الإعاقة من طفل لآخر، غير أننا لم نستطع التحقق من ذلك ميدانيا لأن هذه الحالات من العنف يتستر عليها الأهل وتبقى حيثياتها داخل المنزل فقط بحجة أن للبيوت أسرار، وفي أثناء زيارتنا لأحد الآباء الذي أشاد و جرّم العنف ضد الأطفال لأنهم يمثلون الشريحة الضعيفة في المجتمع و لا يجوز استعمال العنف

[2] صالح محمد على أبو جادو ، **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية** ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، ط6 ، عمان ، الأردن ،2007، ص 220.

معهم مهما كان السبب و أخبرنا أن له طفل مريض مرض مزمن يتمثل في الإعاقة الحركية و أنه لا يستعمل العنف ضده مطلقا لا هو ولا أفراد العائلة ، منافيا لما قاله بعض الجيران عن ممارسة العنف دائما ضد هذا الطفل المعاق الذي يبلغ من العمر 15 سنة ، هذا ما يثبت أن أغلب الحالات العنيفة التي يتعرض لها الأطفال تبقى داخل نطاق الأسرة و تعتبر من أسرارها، مما يجعل أفراد الأسرة أو الأفراد الذين يعيشون في نفس المحيط بممارسة العنف ضد الطفل ذكر/ أنثى ، و ذلك نتيجة التعب و قلة المال و المرض المزمن الذي يعيشه الطفل حيث يقول البعض من أفراد العينة أن هناك من يضرب ابنه نتيجة صراخه و توسيخ ثيابه في كل مرة مما يخلق الغضب عند الأم أو الأب أو الإخوة أو ما يعانيه بعض الأطفال المرضى بما يسمى "التوحد" ، ونجد أيضاً أنّ الأطفال الذين تسبب ولادتهم ضغطا وتوترا داخل الأسرة ، .. ولذلك فالأمراض النفسية التي تصيب الأفراد هو نتيجة لتأثير الأسري في الطفل [3] أو الأطفال الغير المرغوب في ولادتهم لأسباب اجتماعية أو اقتصادية ، أو الذين توافقت ولادتهم مع مرور الأسرة بأزمة مادية أو نفسية أو فقدان أحد أفراد الأسرة وخاصة أحد الأبوين من أكثر الأطفال تعرضاً للعنف.

- **متعلق بالحالة المرضية للأفراد الذين ينتمون لنفس المحيط :** هناك بعض الأفراد الذين يمارسون العنف على الأطفال دون وعي منهم بذلك و ذلك نتيجة المرض المزمن و تعاطي المسكنات و الأدوية و هؤلاء الأفراد يشكلون خطرا محدقا على الأطفال الذين لا يميزون بين الصحيح و المريض حيث حدثت بعض الحالات التي تبين تعرض أحد الأطفال للاعتداء الجسدي بواسطة الحجارة أو العصا أو اليد من قبل بعض المرضى الذين يتجولون في الحي دون رقابة من الأولياء أو المجتمع المدني أو الهيئات المختصة ، مما يجعل هذا الأمر يتفاقم ويبلغ ذروته ، حيث نرى في الكثير من الأحيان أشخاص يعانون الكثير من الأمراض العصبية يتجولون في الشوارع وأحيانا تجدهم يحملون معهم أسلحة حادة مثل السكين أو العصى و غيرها مما يجعل الأطفال ضحية للعنف اللفظي أو الجسدي و أحيانا العنف الجنسي الذي يترك آثار مدمرة في نفسية الطفل ، وفي الكثير من الأحيان نسمع عن حدوث مثل هذا العنف خصوصا في الشارع الذي يمثل مكانا للمرح و اللعب بالنسبة للأطفال.
- **المفاهيم الثقافية السائدة في المجتمع :** هناك عدة مفاهيم سائدة في المجتمع الجزائري عامة، و المجتمع التبسي خاصة، في الأساليب التربوية، يستخدمها بعض الأفراد التي قد لا تخلوا غالبا من العنف، سواء على الكبار أو صغار السن و ذلك بحجة التربية ،و التقويم، و إعادة عملية الضبط للنظام، داخل الأسرة أو خارج الأسرة، بحيث يلقى هذا العنف قبولا من المجتمع، مما يجعله ينعكس في جملة المعتقدات حول أساليب التنشئة السائدة، و التي تقوم على افتراض أن التنشئة الصالحة تقتضي استخدام قدر من العقاب ،سواء الجسدي أو اللفظي ، و كثيرا ما نشاهد أب يضرب ابنه في الشارع أمام الجميع وما يثير الدهشة سماع بعض الأصوات تشجع الأب في الاستمرار في ذلك العنف بقول "زيدو باش يتربى"، كل هذا و ذاك ساهم بقدر كبير في تزايد وانتشار ظاهرة العنف ضد الأطفال في غياب تام للحملات التحسيسية و الجمعيات التي تنشط في مجال حقوق الطفل ،في التربية السليمة و الخالية من العنف بشتى أنواعه.
- **وسائل الإعلام و البرامج التي تشجع على العنف :** يلعب الإعلام دورا هاما في الحياة اليومية لكل الأفراد ، وذلك مع اختلاف برامجه و كثرة القنوات التي تنشط في كافة المجالات الرياضية و السياسية و الرسوم المتحركة و أفلام الأكشن و الإثارة التي تجعل المتابع لها مع اختلاف جنسه و عمره يجلس أمامها مدة زمنية معتبرة كل يوم و ذلك بدافع الملل أو فترة الراحة أو في المقاهي و المحلات و الأماكن العمومية ، غير أن بعض البرامج التي تكون ذات مشاهد عنيفة تبعث في نفس المتفرج شعورا بالانتقام و تجعل من بعض المراهقين و الأطفال يستهينون بحجم هذا العنف الذي يمرر عبر وسائل الإعلام بحيث تبعث في عقوله بعض العدائية للآخر الذي ربما يكون الأخ أو الجار

[3] شروخ صلاح الدين ، **علم الإجتماع التربوي** ، دار النشر و التوزيع ،ط1، الجزائر ،2001، ص 69

حيث نجد غالبا شجار قائم بين الأطفال و ربما يكون هذا الشجار خطير و ذلك لاستخدام طرف أو الطرفين أسلحة حادة أو حجارة في عملية العنف ، حيث أخبرنا لطفي أن أبناءه عندما يشاهدون فيلم يحوي مشاهد عنيفة يحدث بعد مشاهدته شجار بينهم إلى درجة أنه منعهم من مشاهدة بعض القنوات .

ثانياً: الخلفية الثقافية و المجتمعية للعنف ضد الطفل

إن المجتمع الجزائري شديد الارتباط بثقافته ، فهو مجتمع يتطور عبر ثقافته وما تحمله من اعتقادات و عادات و تقاليد وقيم ، من هنا جاء الاهتمام في الدراسة الراهنة بدراسة العنف ضد الأطفال وعلاقتها بالثقافة الشعبية لغرض فهم المجتمع الجزائري و التبسي و معرفة ما يحمله من تراكمات ثقافية في مجال العنف ضد الأطفال للعمل على تحديد طبيعة العوامل الثقافية التي تفسر بقاء الظاهرة في المجتمع ، فالتنشئة الاجتماعية لا يمكننا فصلها عن الثقافة ، ذلك أن عملية التنشئة نفسها التي هي في الأساس عملية تعلم وتكوين ، كما يشير في ذلك مالك بن نبي في كتابه ميلاد مجتمع ؛ ولقد أشرنا فيما مضى إلى أن المجتمع ليس مجرد كمية من الأفراد ، وإنما هو اشتراك هؤلاء الأفراد في اتجاه واحد ، من اجل القيام بوظيفة معينة ذات غاية [4]، يتعلم من خلالها الفرد بتفاعله مع بيئته الاجتماعية عادات أسرته ، وأسلوب حياته وأنماط سلوكه ، أي أنها عملية تشريب الفرد ثقافة المجتمع حيث تتأثر في الوقت نفسه في المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد ، وبثقافة الفرعية التي تحددّ اتجاهات وقين أسرته ، وفلسفتها في الحياة وخبراتها ، بالإضافة إلى الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها،

- **عنف التراث والعادات و التقاليد الشعبية :** تبين لنا من خلال المقابلات التي أجريناها مع عدد من أفراد العينة أن التراث التبسي يزخر بالعديد من الأمثال الشعبية والمفاهيم والعادات المتوارثة التي تحفز على العنف ضد الأطفال ،ومما يميز العنف هنا أنه ليس عنفا لغرض العنف نفسه ولكنة بأخذ مشروعيته كنوع من التأديب وأساليب التنشئة المتوارثة من الكبار إلى الأجيال التالية عبر الزمن .

فالعنف الممارس في محيط الأسرة على سبيل المثال يأخذ مشروعيته من قيم أن الوالد هو المالك الوحيد للطفل وأن من حقوقه أن يعمل على تربية طفلة بالطريقة التي يريدها سواء كانت هذه الطريقة عنفيه أم لا، وهذه هي قيم الشارع التي كرسها العرف وأصبحت سلوكيات مجتمعية ذات قوة عجيبة ، حيث يشير الباحث علي أسعد وطفة في كتابه العنف و العدوانية في التحليل النفسي أنه يجب على العنف أن يصبح قضية مركزية ، وتأسيساً على ذلك يجب أن تأخذ هذه القضية مركزية خاصة في مجال الابحاث النفسية و الاجتماعية و الأنثروبولوجية ، " إن ظاهرة تمثل الفرد الإيجابي للعنف ، ترجع فيما ترجع إليه ، إلى انهيار المثل و القيم في العقل قبل السلوك" [5] ، حتى أنه في الغالب لا يتم حتى عتاب الأب حتى ولو كانت طرق التربية التي يكرسها في التعامل مع أطفاله تدخل في باب العنف الجسيم الذي يصيب الطفل إصابات بالغة وهذا ما يسببه التجاهل المجتمعي للعنف الممارس في البيوت والذي يكرسه مستوى الخصوصية في الأسرة التبسية وتفشى الإحساس بأن البيوت أسرار بحيث يجعل من العنف أمراً مسكوت عنه، وكذا مدى الإحساس من قبل الوالدين بأن مملكتهما جزء لا يتجزأ منهما وأنهما يستطيعان التعامل مع رعايتهما كما يريدان ،فمفاهيم العنف المتوارث وكذا أجواء السرية المحاطة بها البيوت بشكلها المنغلق على نفسها وكذا مدى الإحساس بملكية الطفل يجعل من العنف الممارس ضد الأطفال منهجية مجتمعية ولا يوجد أي تكريس لاستئصالها على مستوى الشارع والأسرة التبسية .

[4] مالك بن نبي ، **ميلاد مجتمع** ، تر: عبد الصبور شاهين ، ندوة مالك بن نبي ، لبنان ،1974، ص24

[5] فوزي أحمد بن دريدي ، **العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية** ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، 2007 ، ص146.

- **عنف الأمثال الشعبية :** تعتبر الأمثال الشعبية أحد المحركات العقائدية و الثقافة المجتمعية التي تساهم في إثراء الكم المعرفي و انتقاله عبر الأجيال بواسطة القصة التي تحمل في فحواها العديد من العبر التي تتخللها مجموعة من الأنظمة و القوانين أو الأعراف السائدة في المجتمع بحيث تجعل من الفرد يمتثل لإرادة تلك الموروثات الشعبية سواء كانت سلبية أو إيجابية و تأثير هذه الأمثال على النفسية الثقافية للأفراد و التحكم في سلوكياتهم اتجاه الآخر فنجد مثلا عند دراستنا لموضوع العنف ضد الأطفال السيدة خيرة العمر 39 سنة تقول: "أضرب وليدك...يجي ليدك"، حيث ترى السيدة خيرة أن ضرب الطفل شيء جائز و غير ضار بالطفل بل على العكس فهو طريقة نافعة تجعل من الطفل لا ينفلت على رأي والديه، و لا ينحرف على معيار الأسرة و المجتمع و كذلك مثل:" دزو و عزو" هذا المثل يدل على تشجيع عملية العنف ضد الآخر و هذا ينعكس كذلك على الأطفال بحيث يقول المثل "عنف و لا تكره" أي قم بعملية العنف و لا كن حافظ على حبك للشخص الذي عنفته ، و كذلك نجد مثل شعبي معروف في المجتمع العاتري حيث أخبرنا به عبد اللطيف 68 سنة: "كي تعرض شبّع و كي تضرب وجّع" و هذا المثل يدل على شدّة إكرام الضيف و ذلك بدليل "كي تعرض وكّل"، وكذلك يدل على شدّة العنف اتجاه الآخر بقول المثل "وكي تضرب وجّع " ، وقد أخبرنا أيضا المثل القائل :"اضرب الكلب ورعّي لماليه" هذا المثل الذي شبه الآخر بالكلب أي عندما تضرب الآخر يجب عليك أن تنظر لأهله فإن كانوا أهل كرام يمتازون بالحسب و النسب فخفف العنف عليه ، وان كان من أهل فقراء و مهمشين فلك الحق في تخفيف أو زيادة شدة العنف هذا المثل يدل على عملية التمييز و المفاضلة بين الناس و من هنا نستنتج أن أطفال العائلات الفقراء أكثر الفئات التي يمارس العنف ضدها من أهم العوامل التي تدفع الطفل إلى العيش في الشارع الذي لا يختلف كثيرا عن وضعه داخل الأسرة الفقيرة التي تحمله عبأ تكفل مصاريفه الخاصة في أحسن الأحوال, وقد نجد الطفل يتحمل مسؤولية عائلة لعوزها أو لوفاة الأب, مما يشعره أنه يتحمل مسؤولية تفوق سنه, وغالبا ما نجد أن الأعمال التي يقوم بها هذا الطفل تيسر له طرق الانحراف وبالتالي الهروب من البيت بحثا عن فضاء حر بحيث يصبح هذا الفضاء مصدرا للعنف ضده ومن النتائج التي جاءت بها الدراسات الأنثروبولوجيا حول الطفولة ، وبذات حول إساءة معاملة الطفل ، هو اختلاف تصور الإساءة من ثقافة لأخرى ، فما يعدّ عنفاً ما لا يعد كذلك بالضرورة في ثقافة أخرى .
- **عنف في الحكم الشعبية** : كذلك نجد دور الحكم الشعبية في تنامي عملية العنف التي نجدها هنا وهناك في الوسط العائلي ،و المدرسة، و المجتمع ،" فالطفل عند ولادته كائن لا أخلاقي لا يعرف ما تعتبره الجماعة صوابا أو خطأ "[6] ، حيث تدخل هذه الحكم في التنشئة الاجتماعية التي تفرض بدورها حسب الموروث الثقافي لكل مجتمع و تفاوت درجات العنف التي تميز كل مجتمع عن غيره من المجتمعات ، فنجد دور الحكم الشعبية في زيادة وتيرة العنف و تناميه في الأوساط العديدة التي يتواجد فيها الطفل فنجد حكمة الضرب و التوبيخ التي تنطوي ضمن العنف الجسدي و اللفظي حيث يقول السيد جابر 41 سنة معلم في مدرسة الحي يقول: "العصى لمن عصا في الصباح و المساء خاصة في أيام الشتاء" و يعتبرها الحكمة الأكثر ترويجا في ذهنية المجتمع بحيث تشجع على العنف الشديد في حال عصيان الآخر هذه الحكمة التي لا تجعل مكانا للحوار السلمي و التبادل المعرفي للتصحيح و التقويم في السلوك الناتج عن الأطفال في حالة وجود خطأ وكذلك نجد الحكمة التي تبيح الضرب و تجعل منه أداة مقدسة لا مدنسة مثل "ضرب الحبيب كأكل الزبيب " الذي يشير مفهومها إلى الحلاوة العنف و مدى انعكاس مثل هذه الحكمة على ذهنية الأفراد و مدى لاقتهم بالآخر بحيث تصبح مثل هذه الحكم أشدّ خطرا على الأطفال من العنف في حدّ ذاته لأنها عملية توريث ثقافية تستمر لأجيال، وتعتبر الحكم ثقافة تتوارثها المجتمعات الإنسانية عن طريق الأسرة وتشمل العديد من السمات الاجتماعية و الاقتصادية و النفسية ، وتتواجد في المناطق المختلفة، حيث تعد الأسرة هي مصدر

[6] خليل محمد بيومي ، **سيكولوجيات العلاقات الأسرية** ، دار قباء للنشر و التوزيع القاهرة ، مصر ، ص 73.

الثقافة التي يتلقاها الطفل، لذلك تقوم بدور كبير في عمليات التنشئة الاجتماعية مما يجع من ثقافة العنف تورث عن طريق الأسرة للأجيال ، فينشأ الطفل حاملا كثير من السمات الثقافية للعنف .

- **عنف الحداثة الرهينية :** أثناء إجراء المقابلات تبين لنا أن من ناحية الحداثة فالعنف في الحداثة غالبا ما يتمركز حول آلياتها التي تروج من خلالها العنف كالتلفزيون والسينما والعاب الفيديو والمجلات وأفلام الكارتون وكذا الأفلام المخصصة للكبار والتي تدخل في باب العنف والتشويق والإثارة والرعب والأفلام البوليسية بمعنى شامل ، وانطلاقا من المقابلات التي قمنا بها مع بعض الأفراد حول علاقة الحداثة بالعنف ضد الأطفال تبين أن ما تبثه الحداثة من مفاهيم جديدة للعنف في أوساط الكبار والنشء والصغار يعمل على تكريس العنف والقبول به كنوع من أنواع العقاب أو الانتقام ضد الشر أو البحث عن حل بوليسي لقضية معينة وكذا الأمر مع العاب الفيديو والتي تعمل معظمها على بث أشكال من العنف في صفوف الأطفال واللذين يتعاملون ويتلقون العنف من خلال الشاشة.

وحسب جملة الدراسات التي أفادت إلى أن الأطفال يتعلمون السلوك العدواني و أعمال العنف نتيجة لمشاهدة بعض البرامج التلفزيونية ،وأن الأطفال الذين يتعرضون للمشاهدة لساعات أكثر هم أكثر عدوانية من أقرانهم الذين يتعرضون لساعات أقل ، كما أثبتت الدراسات الأخرى أن الأحداث وصغار السن قد تعلموا بعض الانحرافات السلوكية كالسرقة و التدخين وتعاطي المخدرات وارتكاب العنف اتجاه الآخر نتيجة لمشاهدة الأفلام ، التي تشجع على تنامي ظاهرة العنف ضدهم أو ضد الآخر، ولا يلبث الأطفال أن يصبح العنف جزء من تركيبتهم النفسية والجسدية في تعاملاتهم مع الأقران أو حتى مع الكبار ويعتبرون أن العنف هو أول الحلول للقضايا التي يحتكون بها بشكل أو بآخر في محيط الأسرة و الشارع و المدرسة.

أن اكتساب السلوك العنيف و المنحرف ناتج عن المحاكاة و التقليد ، ذلك أن الفرد يتعلم الأنماط السلوكية العنيفة و المنحرفة و الإجرامية من خلال عملية التقليد لا تختلف في طبيعتها عن تعلم أي مهنة أو حرفة أخرى يتعلمها الإنسان من خلال اختلاطه بالآخرين وتقليده لهم ، وتتم هذه العملية بشكل غير آلي لأنها عملية نفسية واجتماعية بمعنى أن السلوك العنيف ما هو إلا سلوك اجتماعي مكتسب بواسطة المحاكاة و التقليد، و التي من خلالها يتعلم السلوك العنيف و المنحرف هذا لأن المشاهدة تعمل على إثارة عملية الاستعداد للعنف الذي سيكون حول نفسه أو موجها للآخر عن طريق عملية العدوان فالحداثة تبعث في الأطفال التحفيز وذلك نتيجة التشجيع الذي يتدفق من المجتمع و الأسرة و المحيط .

ثالثاً: آثار العنف ضد الأطفال على الذات والآخر

إن البيئة الاجتماعية المبنية على العنف وعدم احترام المشاعر النفسية للطفل وسواها من الممارسات كفيلة بأن تخلق حالة من التمرد والعصيان وإثارة الروح العدوانية والكراهية والحقد ، كما أن هذه الظاهرة لها تأثيرها على الطفل في ذاته وكذلك تؤثر في علاقة الطفل مع الآخر حسب المتغيرات البيئية والاجتماعية المتعلقة بكل مجتمع، حيث أن الممارسات العنيف التي توجه ضد الطفل سواء من أسرته أو من مدرسته أو من مجتمعه كفيلة بأن تترك بصمتها عبر كامل مراحل حياته ، وبذلك تعمل على التأثير في جملة العلاقات التي تكون بين ذاته من جهة و بين الآخر من جهة أخرى مخلفة في ذلك الكثير من الاضطرابات الصحية و النفسية و الجسدية للطفل تؤدي إلى حدوث أضرار تمتد آثارها إلى المستقبل القريب و البعيد .

- **العنف ينتقل عبر الأجيال :** تعتبر التنشئة ركيزة هامة من ركائز التربية وأساس هام من الأسس التي يقوم عليها الإنسان حين يواجه الحياة وما فيها من مؤثرات طبيعية ، وجودية وإنسانية يحاول أن يتكيف معها وفق متطلباتها وشرائطها وظروفها فإذا نجح في هذه عاش ونما وتطور وإلاّ انقرض وهلك، فالعملية هنا قائمة على أساس من

محاولة إعانة الفرد على حسن التكيف مع محيطة وهي قبل كل شيء تمرير الخبرة السابقة من جيل إلى جيل وتمكين الجيل الجديد من البقاء والحفاظ على الذات الفردية والذات الاجتماعية ، حيث تعتبر العملية التربوية بكافة أنواعها سوى طبيعية أو اجتماعية أو ثقافية تلعب دور كبيرا في تنشئة الطفل وعلى سبيل المثال المؤثرات الأسرية إذ أن العنف الممارس ضد الأطفال يلعب دور مهماً في اكتساب الطفل لسلوك العنف وتخزينه في ذاكرته على أنه مرتبط بعملية التربية و التنشئة مما يجعل منه شخص ممارس للعنف في المستقبل هذا ما يعمل على توريث هذه الظاهرة عبر الأجيال بصورة تدريجية، بحيث تنتج إنساناً غير واعياً لذاته وشخصاً ليس ملماً ببعض المعارف والمهارات المتعلقة بمسالك الثقافة، فالطفل كائن إذ أن له احتياجات ومتطلبات تؤثر في سلوك من يتولون رعايته والعناية به ، " و تعتبر الأسرة الاطار الذي يحدد تصرفات أفرادها فهي التي تشكل حياتهم وتضفي عليها خصائصها و طبيعتها ، و الأسرة هي بؤرة الوعي الاجتماعي و التراث القومي و الحضاري ، فهي التي تنقل هذا التراث من جيل إلى آخر وهي مصدر العادات و التقاليد و العرف و القواعد السلوكية و الآداب العامة " [7]، وتتجسد العناية في الجوانب الاجتماعية المتعلمة غير الموروثة وهي عملية تجعل الأطفال المستجدون في المجتمع يتعلمون أساليب الحياة في مجتمعهم، وعبر التنشئة بتعلم الأطفال الأدوار الاجتماعية، وإذا حدث خلل في هذه التنشئة تؤدي إلى ترسيخ العنف في هذه المرحلة التي يمر بها الأطفال و التي تعتبر الفترة التي يصل فيها تعلم السلوك العدواني في التفاعل داخل الأسرة و المحيط أقصى درجات الكثافة وتكون العائلة الفاعل والمؤثر الأبرز والأكثر أهمية في هذه الفترة.

وأثناء إجرائنا للعديد من المقابلات حول دراسة موضوع العنف ضد الأطفال في مجتمع الدراسة ، تبين أن أغلب الأفراد الذين يمارسون العنف بكافة أنواعه هم أشخاص تعرضوا للعنف في مرحلة من مراحل حياتهم ، حيث قال عمر 52 سنة:" باه تربي وليداتك لازم عليك تستعمل العنف.. الله غالب هذا الوقت الذري ذوركا كون متضربوش عمرو يتربا "، وعند سؤاله هل تعرض هو للعنف من قبل أسرته أو أفراد مجتمعه، قال : " صحيح كانوا والدينا ربي يرحمهم و يرحمنا يضربونا وماشي هذ الضرب إلي توا والله ساعات الدوخ من قوة الضربة"، وقبل كي كونا صغار دير حاجة غالطة إلي والا يضربك وكون يفيقوا والديك يزيدو يضربوك"، و تعطي الدراسات أهمية كبيرة للأحداث و الخبرات التي تعرض لها المعتدي أثناء طفولته حيث يؤكد كابلان ورفقائه (Kaplan et al) في دراسته أن أغلب الآباء المعتدين على أطفالهم هم أنفسهم تعرضوا لاعتداء نفسي وبدني شديد من قبل آبائهم أو الأفراد الذين يعشون معهم ، هذا ما يدل على أن ممارس العنف الذي يتمثل في العنف اللفظي أو الجسدي أو الجنسي هم أشخاص قد تعرضوا لمثل هذا العنف أثناء طفولتهم ، سواء من قبل أسرهم أو من قبل أشخاص آخرين مما جعلهم يستخدمون ذلك مع أطفالهم أو أطفال آخرين هذا ما تفسره الكثير من النظريات في ميدان علم الاجتماع و الانثروبولوجيا ، التي تبين مطالب واهتمامات الآخرين والتي تكون متمثلة في البناء الثقافي الذي يعيش فيه الفرد داخل المجتمع ، أو العملية التي تتناول الكائن الإنساني البيولوجي لتحوله إلى كائن اجتماعي، عن طريق توريثه مجموعة من المبادئ و القوانين والأساليب التربوية التي تصبح معيارا اجتماعيا يسلكه الفرد ويتعامل به مع من حوله في حياته اليومية مما يؤدي إلى خلق أفراد ينتهجون أساليب العنف ذاتها التي عاشوها داخل مجتمعهم .

- **تمثلات الطفل المعنف مع ذاته** : يؤثر العنف على الصحة النفسية لأفراد المجتمع والتي قد تتطور وتتفاقم إلى حالات مرضية أو إجرامية ، إذ أنّ الطفل يرى عالمه في أسرته ومحيطه ومدرسته ووجوده في بيئة مشحونة بالعنف ينهار فجأة هذا العالم الصغير الآمن للطفل ، فيركن تحت شعور ثقيل بالخوف فالأبناء الذين نشئوا وسط ظروف عائلية مليئة بالخلاف الشديد ، هؤلاء الأبناء يشعرون في الكبر بأنهم ليسوا كبقية البشر ، وتنعدم فيهم الثقة

[7] د. مهدي محمد القصاص ، **علم الاجتماع العائلي** ، كلية الآداب جامعة المنصورة ، 2008 ، ص29.

بالنفس ، فيخافون من إقامة علاقات عاطفية سليمة ويتذكرون أن معنى الحياة هو الوجود في محيط يختلفون فيه مع طرف آخر ويتبادلون معه الإهانات ، يولد لدى الفرد نزعات تميل إلى الانتحار والاكتئاب وفقدان الثقة بالنفس والهروب من المنزل والانحراف السلوكي والميول نحو ارتكاب أعمال إجرامية داخل الأسرة وخارجها ،والإنسان أيضا قادر على أن يستجيب لنفسه وللبيئة الخارجية وللآخرين ، وهذا الشعور بالذات هو المصدر الأساسي للهوية حيث يمثل الجوهر الموحد لشخصية كل فرد ،" يقتضي مفهوم الانسان فردا الاعتراف بالحرية اختيار واسعة ، فبدلا من أن تصدر بعض القيم عن المجتمع ، ستصير محددة من قبل الفرد لاستخدامه الخاص ، بكلمات أخرى ، يطلب الفرد بوصفه قيمة اجتماعية ، أن يوكل له المجتمع جزءا من قدرته على تثبيت القيم"[8] .

إن مفهوم الذات مرتبط بتأثير البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية لذلك نجد الكثير من الأفراد في مجتمعاتنا النامية يعيشون القلق والتوتر والصراع الداخلي لأنهم يسلكون طرقا تعاكس أفكارهم واعتقاداتهم نظرا لقيود العادات والتقاليد المتعارف عليها في المجتمع , متنازلين عن تحقيق حرياتهم وقناعاتهم وبالتالي تحقيق ذواتهم هي النظرة الدونية إلى النفس من حيث المظهر العام أو السلوك , وفيه يشعر الأطفال بأن لا قيمة لهم وبأنهم يفتقرون إلى احترام الآخرين ، الأمر الذي يؤثر في دوافعهم واتجاهاتهم وسلوكهم يحث قال علي البالغ من العمر 37 سنة أن الأطفال الذين يتعرضون للعنف من قبل أسرهم أو أفراد مجتمعهم يكون تقديرهم لذاتهم سلبي حيث قال " أنا راني نشوف شبيبة ياسر معندهمش ثيقة في نفسهم تلقاهم خايفين من أبسط القارارات وحاسين أنهم معندهمش قيمة " ، إن انعدام احترام الإنسان لنفسه يصيبه بالكثير من الاضطرابات التي تتمثل في فقدان الثقة بالنفس و العجز عن اتخاذ القرارات و الشعور بالإحباط والفشل ، إذ أن رؤيتهم للأشياء رؤية تشاؤمية وبالتالي تقدير المرء لذاته سلبية مما يجعله عدوا لنفسه وبالتالي يشكل خطرا على نفسه قبل المجتمع ، وتتكون استراتجية التكيف من مقولات تعميمية يطورها الملاحظون المتخصصون في السلوك الإنساني بهدف بهدف فهم النتائج المتكررة و الفريدة للفعل الاجتماعي مع التركيز على الضغوط الداخلية و الخارجية على ذلك الفعل "[9].

حيث ينشا اعتبار الذات المتدني نتيجة لظروف حياتية سلبية متراكمة ترافق نمو الطفل، مثل تفكك الأسرة أو نتيجة لسوء المعاملة الأسرية أو عدم استقرار حياة الطفل التي تسببها عوامل متعددة متعلقة بتربية الطفل مما يجعلهم يشعرون بالاستياء وبأنه من السهل إيذائهم وبأنهم عاجزون عن الاهتمام بأنفسهم وفي وقت ما سيشعر الأطفال بان عندهم ثقة زائدة بالنفس ويشعرون بالعظمة ولكن تحت هذا المظهر الكاذب يوجد النقص الأساسي للثقة بالنفس، وبالرغم من ذلك إن بعضهم يصبح مستقلا ويكسب احترام نفسه من خلال موافقة الآخرين ، ولكن الكثير من الأطفال يشعرون بأنهم مهملون جسديا ونفسيا ، والنتيجة المباشرة هي الشعور بقلة القيمة، حيث يمتاز بعض الأفراد بأن عندهم شعور بالقوة والقسوة ، إذ أن طرقهم ومناهجهم هي غالبا سلطوية، ويستعملون العقاب بشكل متزايد. إن الرفض أو النبذ يولدان مشاعر مسئولة عن تدني مفهوم الذات عند الأطفال، حيث يجعلهم يتصرفون بشكل عكسي مع اهتمامات الوالدين ليثبتوا رفضهم لهم ، كما قال السيد الطيب البالغ من العمر 46 سنة أنه في أغلب الأحيان يقوم بمعاملة قاسية لأبنائه ولا كنّه لاحظ أنه كلما طالت العقوبة كلما كانت الاستجابة لمطالبه أقل وأصبح الأبناء يستسيغون ذلك العنف المتمثل في الإهانات و الشتائم و الضرب، وكأنهم تعودوا على طرق العقاب خاصته، مما جعله يدرك حقيقة أن العنف ليس له ثمار.

وعندما يتحقق احترام الآخرين له يبدأ احترامه لنفسه بالتكوين وبالتالي الشعور بالفخر والثقة ولكن لكل إنسان نظرة محددة ومختلفة عن أقرانه ، وبالتالي لا يمكن للطفل إرضاء كل من حوله في محيطه ، مما يخلق لديه شعور العجز

[8] لويس دومون ، **مقالات في الفردانية** ، ترجمة : د. بدر الدين عردوكي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2006، ص339.

[9] محمد الجوهري ، **المفاهيم الأساسية في الأنثروبولوجيا** ، القاهرة ، 2008 ، ص25.

والنقص والضعف ، أي انخفاض تقدير الطفل لذاته. إن العائلة ومنظومة العلاقات الداخلية والخارجية تمثلان المحور الرئيسي للحياة البشرية والوجود الإنساني عامة غير أنها قد تحتوي في الوقت نفسه على الكثير من التوترات والمشاحنات التي تدفع أفراد العائلة إلى اليأس أو إحباط أو تملئهم بمشاعر السخط والقلق ، فكثرة العنف ضد الأطفال في الأسرة و المجتمع و المدرسة يؤدي بالضرورة إلى التسرب المدرسي و العمل على التهرب من المدرسة لأنها تمثل له صورة لأبشع الأشياء و ذلك نتيجة العنف الذي يمارسه أقرانه من جهة و الذي يمارسه الأساتذة من جهة أخرى، حي بينت الدراسة التي قمنا بها في حي 300 سكن أن أغلب الأطفال الذين يقطنون في هذا الحي قد توقفوا عن الدراسة و من أسباب ذلك العنف الذي يمارس فيها خصوصا في المراحل الأولى من التعليم الابتدائي ، هذه المرحلة التي تنمي شخصية الطفل وفق أساليب تربوية و علمية ، غير أنه إذا تم ترهيب الأطفال في هذه المرحلة عن طريق إتباع وسائل تعليمة قاسية تؤدي بالطفل إلى أخذ أفكار سيئة عن المدرسة وكثيرة هي العبارات التي يرددها الأطفال عند تغيب أحد الأساتذة أو أثناء العطل تجدهم يرددون "غدوا منقروش نذبحوا علوش" وهذا دليل فرح من الأطفال لعدم دراستهم ، وكأن العلاقة بين المدرسة و التلميذ علاقة كره لا محبة مما يجعل الكثير من الأطفال يبتعدون عنها في المراحل الدراسية الأخرى، واختيار العمل كأفضل حل.

- **تمثلات الطفل المعنف ذاته مع الآخر :** إن الطفل الذي يتمتع بالتوافق النفسي على المستوى الشخصي والاجتماعي هو الطفل الذي ينشأ في مناخ أسري مستقر وهادئ وتعرض لأسلوب سليم في التنشئة الاجتماعية كما نجد الطفل الذي يعيش الحرمان في الرعاية الأسرية أو العيش في مناخ اسري غير مستقر نجد هذا الطفل ينحرف عن السلوك السوي المرغوب فيه ، هي أفعال عنيفة أو إكراهية جسمية أو لفظية ، توجّه نحو شخص أو جماعة أو نحو الذات. يختلف العدوان من فرد إلى آخر، ويعود هذا الاختلاف إلى طبيعة الثقافة السائدة في المجتمع وأساليب التنشئة الاجتماعية ، " إن رغبة العنف متى استيقظت أحدثت في صاحبها تغيرات جسدية تعده للقتال ، ومع أن هذا الاستعداد العنفي محدود الأجل "[10]، لقد أظهرت دراسات عديدة أن الأفراد الذين يعيشون في أسر يسودها العنف أكثر قابلية لان يكونوا هم أنفسهم عدوانيين في تصرفاتهم، ، كما تجدر الإشارة إلى أن هناك بعض الباحثين أمثال ستراوس و زملائه الذين يرون أن العدوان هي غريزة بيولوجية يجب ترويضها بأسرع ما يمكن، وهناك فرق في جنس الطفل حيث أن شجار البنات وعدوانهن في الغالب يكون لفظياً كلامياً ويدور حول موضوعات محددة (عتاب، غيرة، تفاخر) كما قد يتجه عدوانهن نحو أنفسهن وذلك من خلال ممارسة العقاب الذاتي والتضحية، بينما يكون عدوانية الذكور فيزيقياً ويدور حول الملكية وانتزاعها والقيادة ومخالفة تعاليمها وخرقها ويتخذ شكل الهجوم الجسدي ويتجه هذا الهجوم خاصة نحو الأخر.

قد يكون السلوك العدواني أهوجاً وطائشاً، ذا دوافع غامضة غير مفهومة وأهدافه مشوشة وغير واضحة، وتصدر من الطفل نتيجة عدم شعوره بالخجل والإحساس بالذنب الذي ينطوي على أعراض سيكوباتية في شخصية الطفل، مثل الطفل الذي يقف أمام بيته مثلاً ويضرب كل من يمر عليه من الأطفال بلا سبب، وربما جرى خلف الطفل المعتدي عليه مسافة ليست قليلة، وقد يمزق ثيابه أو يأخذ ما معه ، ويعود فيكرر هذا مع كل طفل يمر أمامه فالطفل المعنف من قبل الأسرة أو المجتمع تجده يكن الكراهية لأفراد ذلك المجتمع و الاعتداء على الآخرين بالقول و الفعل مما يصعب عليه التواصل معهم، ، ويكون ذلك دون اتفاق سابق بينهم ، وأحياناً يوجه العدوان الجمعي إلى الكبار أو ممتلكاتهم كمقاعدهم أو أدواتهم عقاباً وحينما تجد مجموعة من الأطفال طفلاً تلمس فيه ضعفاً، فقد تأخذه فريسة لعدوانيته ،

[10] رينيه جيرار ، **العنف و المقدس** ، ترجمة : سميرة ريشا ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط 1 ، 2009، ص19.

" وضع اللوم على الآخرين بشكل دائم يؤدي إلى عدم تحمل مسؤولية علاج الموقف ومن ثما فقدان التحكم بالأمر ، مما ينتهي بتكرار ردود الفعل المؤذية [11]" ، فالعنف من قبل الطفل هنا سلوك متعلم يستعمل كأداة لتحقيق أهداف معينة خاصة إذا قوبل هذا السلوك العدواني تجاه الآخر بالتعزيز من قبل المجتمع .

أحياناً يكون العنف الذي يوجهه الأطفال ضد الأشخاص الآخرين ممتعاً حيث أن هناك بعض الأطفال يجدون استمتاعاً في إيذاء الآخرين، بالإضافة إلى منافع أخرى، فهم يستطيعون إثبات رجولتهم ويوضحوا أنهم أقوياء وذو أهمية وأنهم يكتسبون المكانة الاجتماعية ، ولذلك فهم يرون أن العدوان يكون مجزياً مرضياً ومع استمرار مكافأتهم على عدوانهم يجدون في العدوان متعة لهم وذلك للتخفيف من الكبت الذي يكمن داخلهم، فهم يؤذون الآخرين حتى إذا لم تتم إثارتهم انفعالياً، فإذا أصابهم ضجر وكانوا غير سعداء فمن الممكن أن يخرجوا في مرح عدواني مثل رمي الحجارة على نوافذ المنازل و الصراخ القوي في الليل و النهار الذي يحمل في طياته الكثير من الكلام الغير لائق ، حيث يقول السيد مصطفى 38 سنة أنه يعاني الكثير في هذا الحي "شحال من مرة يحادفو الطريق ويكسرو لقزاز و يهربو ولا يطيحو الهدرة و بصوت عالي في الليل ولا النهار" ،إن هذا العنف يعززه عدد من الدوافع والأسباب وأحد هذه الدوافع أن هؤلاء العدوانيين يريدون أن يبينوا للعالم وربما لأنفسهم أنهم أقوياء ،ولابّد أن يحظوا بالأهمية والانتباه، فقد أكدت الدراسات التي أجريت على العصابات العنيفة من الجانحين الأطفال بأن هؤلاء يمكن أن يواجهوا الآخرين غالباً لا لأي سبب بل من أجل المتعة التي يحصلون عليها من إنزال الألم بالآخرين بالإضافة إلى تحقيق الإحساس بالقوة والضبط والسيطرة وطبقاً لهذا النموذج في تفسير العدوان الانفعالي فمعظم أعمال العدوان ،ومن المؤكد أن الأفكار لها تأثير كبير على السلوك الانفعالي فالأشخاص الثائرين يتأثرون بما يعتبرونه سبب إثارتهم وأيضاً بكيفية تفسيرهم لحالتهم الانفعالية ، " إن العنف إذا لم يقيض له الارتواء مضى يبحث عن ضحية بديلة وخلص إلى تحقيق مبتغاه شأنه دائما ، حيث نراه فجأة ، يستبدل بالمخلوق الذي يثير غضبه مخلوقا آخر لا صفة له، أو علة ، توجب حلول صواعق العنف به[12] .

ويضيف البعض أن تأثير الجماعة على اكتساب السلوك العدواني يتم عن طريق تقديم النماذج العدوانية للأطفال فيقلدونها أو عن طريق تعزيز السلوك العدواني لمجرد حدوثه. وتفترض نظرية التعلم الاجتماعي أن السلوك العدواني لا يتشكل فقط بواسطة التقليد والملاحظة ولكن أيضاً بوجود التعزيز وأن تعلم العدوان عملية يغلب عليها الجزاء أو المكافأة التي تلعب دوراً هاماً في اختيار الاستجابة بالعدوان وتعزيزها حتى تصبح عادة يلجأ إليها الفرد في أغلب مواقف الإحباط، وقد يكون التعزيز خارجي مادي مثل إشباع العدوان لدافع محبط أو مكافأة محسوسة أو إزالة مثير كريه أو تعزيز معنوي مثل ملاحظة مكافأة أخرين على عدوانهم و على تقدير الذات و الناجم عن معاداة المجتمع وفقدان مهارات تكوين العلاقات وبنائها و المحافظة عليها ، " كيف تكون العلاقة في مكان ما ، بين الواحد و الآخر وكيف تدرك من قبل الواحد والآخر ، ذلك هو موضوع الأنثروبولوجيا الخاص " [13].

وعند قيامنا بعدة مقابلات مع بعض أفراد الحي حول تناول الأطفال للتدخين و المخدرات و الجريمة كانت لها وقعها في أنفسهم وأشاروا إلى أن أغلب أطفال الحي الذين تتراوح أعمارهم بين 13 و 16 سنة يتناولون المخدرات ناهيك على التدخين الذي أصبح يرونه شيء عادي فالطفل الذي يتعرض للعنف باستمرار من قبل أهله أو مجتمعه أكثر عرضة لتناول المخدرات و التدخين ذلك أن الطفل يحاول الهروب عن الواقع الذي يعيشه و يحاول بذلك إشباع رغباته وإثارته عن طريق تناول المخدرات بينما يرى فيها البعض رسالة إلى الآخر يبن له فيها انه أصبح رجلا و

---

[11] د. مصطفى حجازي ، **الأسرة وصحتها النفسية** ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، المغرب ، 2015 ، ص137.

[12] رينيه جيرار ، **العنف و المقدس** ، ترجمة : سميرة ريشا ، المرجع السابق ، ص19.

[13] مارك أوجيه ، جان بول كولاين ، **الأنثروبولوجيا** ، ترجمة : د. جورج كتورة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، 2008 ، بيروت ، ص16.

الدليل أنه يملك علبة سجائر في يده و سكين في جيبه ويقول عمران 56 سنة "عندي ولدي شحال من مرة نحكمو يتكيف ياخويا ضربتو ضربتو ما نفع يكبر يفيق لروحوا"، كذلك سمعنا من أحد أفراد الحي أن هناك عمليات سرقة تحدث من فترة إلى فترة وأغلب المرات يكون الأطفال هم الفاعل في ذلك ناهيك عن المشاجرات التي تحدث باستمرار مع استخدام الآلات الحادة في ذلك مما يؤدي ببعضهم إما إلى السجن، أو إلى المستشفى ، فالطفل الذي يتعرض للعنف يكون أكثر عنفا على الآخر الذي ربما يكون من أسرته أو من مجتمعه .

الخاتمة :

لقد مكننا البحث في موضوع العنف من مناقشة و تحليل إشكالية ، و كذا الإجابة على الكثير من التساؤلات التي تثير البحث الأنثروبولوجي و السوسيولوجي ، مما سمح لنا بتحسس جوانب أخرى للظاهرة ، وبالتالي طرح إشكاليات جديدة ، وامتدادات ممكنة ، قد تمثل مواضيع بحوث أخرى ، وبالنظر إلى موضوع العنف ضد الأطفال فهو ينحصر ضمن أهمية التبادل بين الأسرة و باقي الأنساق الاجتماعية ، بحيث نجد أن مرتكزاته أيضاً في الثقافة التي تتمثل في القيم و التصورات الجمعية ، التي هي إلى حد ما نتيجة التجارب الاجتماعية ، ويصبح العنف أكثر قبولا اجتماعيا بتكيف الأفراد معه ، وفي وجود نماذج من السلوك العنيف كشكل من أشكال التعبير عن الإحباط و الغضب ، ويكتسي هذا العنف طابع الشرعية إذ يمارس من طرف الوالدين المسئولين عن تربية أطفالهم و رعايته ، وكذلك من الأفراد الذين لا ينتمون للطفل ، هذه الشرعية التي تمنحها الثقافة التي تمثل مضمون العملية التنشئية من القيم و التصورات التي تحددها أساليبها ، وذلك من خلال التنشئة الاجتماعية للأفراد ، أولا بما تتضمنه من تصورات العنف ، وعن الطفل في علاقته بوالديه و مجموعة الأفراد الذين ينتمون لمجتمعه ، هذه العلاقة التي تقوم على تبعية الأطفال لهؤلاء الأفراد، وثانياً على مفهوم السلطة التي تفرض على الطفل الطاعة المطلقة و الخضوع التام لإرادة الآخر، و أنّ كل خروج عن الطاعة يعتبر خرقاً للمعايير الاجتماعية و يقابل برفض وباللجوء للعنف و العقاب ، وهو ما يبرر بمحاولة الحفاظ على النظام داخل الأسرة و خارجها ، وذلك عن طرق الأساليب التربوية التي تجعل من العنف أكثر قبولا لتبني ذلك السلوك العنيف من قبل الأفراد وتوارثه عبر الأجيال

قائمة المراجع

1- بير بورديو ، العنف الرمزي ، ترجمة : نظير جاهل ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1994 .
2- خليل محمد بيومي ، سيكولوجيات العلاقات الأسرية ، دار قباء للنشر و التوزيع القاهرة ، مصر .
3- رينيه جيرار ، العنف و المقدس ، ترجمة : سميرة ريشا ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط 1 ، 2009.
4- شروخ صلاح الدين ، علم الإجتماع التربوي ، دار النشر و التوزيع ،ط1، الجزائر ،2001 .
5- صالح محمد على أبو جادو ، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، ط6 ، عمان ، الأردن ،2007.
6- فوزي أحمد بن دريدي ، العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض، 2007 .
7- لويس دومون ، مقالات في الفردانية ، ترجمة : د. بدر الدين عردوكي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2006.
8- مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، تر: عبد الصبور شاهين ، ندوة مالك بن نبي ، لبنان ،1974.
9- مارك أوجيه ، جان بول كولاين ، الأنثروبولوجيا ، ترجمة : د. جورج كتورة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، 2008 ، بيروت .
10-محمد الجوهري ، المفاهيم الأساسية في الأنثروبولوجيا ، القاهرة ، 2008 .
11-د. مهدي محمد القصاص ، علم الاجتماع العائلي ، كلية الآداب جامعة المنصورة ، 2008 .
12-د. مصطفى حجازي ، الأسرة وصحتها النفسية ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، المغرب ، 2015 .